باب الظاء

الظبي[1]:

معروف، والأنثى ظبية، وألوانه مختلفة. وهو ثلاثة أنواع: نوع يسمى الآرام، وهي بيضاء خالصة البياض، الواحدة: رئم، ومسكنها الرمل. وهي ضأن الظبي لكثرة شحمها ولحمها. ونوع يسمى العفر، حمر قصار الأعناق، وهي أضعفها عدوا، تألف المواضع المرتفعة الصلبة، قال الكميت[2]: (من الطويل).

وكُنَّا إذا جَبّار قومٍ أرادنا بكَيْدٍ حملْناهُ على قَرْنِ أعْفَرا

يعني نقتله ونحمله على رأس السنان، وكانت الأسنة من القرون. ونوع يسمى الأدم، طوال الأعناق والقوائم، بيض البطون[3].

---

(١) عشيرة الظباء.

(٢) البيت في اللسان (عفر).

(٣) الحيوان للجاحظ ٣/ ٣٩٥ و ٥/ ٤٨٤، والنويري، ٩/ ٣٣٢، والدميري ٢/ ١٠٢، وابن حجة ٨٤ ب.

ويوصف الظبي بحدة البصر، وهو أشد الحيوان نفورا. ومن كيسه أنه إذا دخل كناسه دخل مستديرا خوفا على نفسه، فإن رآه أحد لم يدخل. ويلتذ بأكل الحنظل. ويرد البحر الملح فيشرب منه. ويلحق بهذا النوع غزال المسك، وهو أسود، ويشبه ما مرّ في القد والقوائم، لكن له نابان أبيضان في فكه الأسفل خارجان من فيه كنابي الخنزير، كل منهما دون الفِتْر[1]. والمسك دم يجتمع في سُرّته كل سنة في وقت معلوم من السنة، بمنزلة مادة تصبّ في العضو، فإذا حصل له ذلك، مرض له حتى يتم.

ومن غزل أبي العلاء المعرى[2]: (من البسيط).

يا ظبيةً علِقَتني في تصيُّدها ... أشراكُها وهي لم تعلقْ بأشراكي

رعيت قلبي وما راعيتِ حرمته ... فكم رعيت وما راعيت مَرْعَاكِ

أحرقتِ فؤاداً قد خَلَلْتِ به ... بنار حُبّك عمداً وهو مأواكِ[3]

ومما قيل فيه من التشبيه، قول الحلي[4]:

ظَبْيٌ من الأتراك فوق خُدوره ... نارُ يخرُّ لها الكليمُ ويصعَقُ

تلقاه وهو مزرّدٌ ومدرَّعٌ ... وتراه وهو مفرَّط ومقرطق

---

(١) والفتر هو ما بين طرف الإبهام وطرف المشير إذا فتحها بالتفريج المعتاد.

(٢) الأبيات في معجم الأدباء ١/ وتعريف القدماء بأبي العلاء ٩٦.

(٣) المرجع السابق: وهو واراكِ.

(٤) ديوانه ٢/ ١ ط بيروت ١٨٩٢.

وقال أيضا [1]، وفيه سبعة تشبيهات: (من الطويل).

وظبي بقَفْر فوق طرف مُفَوق ... بقوس رمى في النقع وحشا
كشمس بأفق فوق برق بكفه ... هلالٌ رمى في الليل جنا بأنجم

وقال المهاتي: (من البسيط).

يا سالب الظبية لحظا وجيد ... أجز لمن يهجر أجر الشهيد
متى رأى طرفك قتل امرئ ... بأسهم اللحظ فقيد الفقيد

وقال أبو المكارم: (من السريع).

يا عاذلي أقصر وكن عاذري ... على حب ظبي الحل ناظري
فاكحل الناظر ذاك الذي ... قد قصد الأكحل من ناظري

وقال الوراعي في مليح ينتف: (من الطويل).

تعشقت ظبيا ناعس الطرف ناعما ... إلى أن تبدى الشعر والعشق ألوان
وقالوا أفق من حُبه فهو ناتف ... فقلت عكستم إنما هو فتان

وقال القيراطي: (من البسيط).

ظبي من الترك من هندى ناظره ... في كل جارحة منا جراحاتُ
رشاقة الرمح في أعطافه وله ... بأسهم اللحظ في العشاق رشقاتُ

وقال ابن حبيب: (من السريع).

فتيت بالظبي الذي صادني ... في شرك الحسن عتيب المزاح
رمت الفلاتا من يدي عشقه ... فقال لي داعي الهوى لا براح

---

(١) قاله في غلام فارس يرمي الظبي بالسهام. الديوان ٣١٠.

وقال ابن حجة: (من الرجز).

رآه ظبي بالحمى قلت له بشفقة ... قابله قلت والله مالي حدقة

وقال أبو الدماميني: (من الوافر).

أقول لمهجتي كم ذا تقاسي ... من البلوى بظبي في كناسِ

أذكره بأشجاني فينسى ... فأفديه غزالا فيك ناسي

وللخطيري [1] أبيات، كل بيت منها نصف منقوط، ونصف عاطل، وهي: (من مخلع البسيط).

ظبي تجنى في ضجيج ... علاه لما سما هلال

بذيني بث ذي شيب ... وما در ماله حلال

بيضي نقي غضيض جفن ... .

وقال بعضهم: (من مخلع البسيط).

بدر ولكنه قريب ... ظبي ولكنه أنيس

إن لم يكن قده قضيبا ... فمالِ أعطافه تميس؟

وقال الأربلي[2]: (من الكامل).

ظبي يؤنس بالغرام نفاره ...

ويجد في نهب النفوس بمزحه كالورد

---

(١) أبو المعالي أسعد بن علي الخطيري، المعروف بدلال الكتب، المتوفى سنة ٥٦٧ هـ. الوفيات ٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٨.

(٢) المنشئ الإربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح، الصاحب بهاء الدين الإربلي الكاتب والشاعر، توفي سنة ٦٩٢ هـ. الفوات، ٣/ ٥٧ ـ ٦٠.

ذو وجنة شرفت بماء نعيمها

أشرفه نداه برشحه

وخرج مخارق[1] المغنى يتنزه مع إخوانه، وفى يد أحدهم قوس مذهبة، فقال لصاحب القوس: أرأيت إن غنيت صوتا، فعطفت عليه هذه الظباء، أتدفع إلى هذا القوس؟ قال: نعم! فاندفع يغنى: (من المجتث).

ماذا تقول الظباء؟ أفرقة أم لقاء؟

أم عهدها بسليمى وفى البيان شفاء؟

مرت بنا شائحات وقد دنا الإمساء

فما أحارت جوابا وطال منّا العناء

فعطفت الظباء راجعة إليه، حتى وقفت قريبة منه.

والظبى بجميع أنواعه حلال الأكل. والمسك طاهر، وكذا فأرته.

وفى المثل: آمن من ظبى بالحرم[2]. وترك الظبى ظله[3]، يضرب للرجل النفور. وظله كناسه يستظل به من الحر إذا نفر منه لا يعود إليه[4].

وخواصّه: قرنه ينحت ويبخر به يطرد الهوام. ولسانه يجفف فى الظل ويطعم للمرأة السلطة، تزول سلاطتها. ومرارته تقطر فى الأذن،

---

(١) مُخارق وزُلزُل ومارق، هؤلاء الثلاثة كانوا مغنين فى أيام المأمون، الوفيات ١/ ٤٠.

(٢) الميدانى ١/ ٨٧.

(٣) الميدانى ١/ ١٢١، المستقصى ٢/ ٢٤.

(٤) انظر اللسان (ظبا).

يزول وجعها. وجلده وبعره يحرق، ويجعل فى طعام الطفل، فيصير ذكيا حافظا فصيحا. ولحمه ألذ لحوم الصيد وأقربها إلى الطبيعة الإنسانية، حار يابس بقوة، يولد دما حارا صالحا للبدن البارد والرطيب والكثير الفضول، ومن يحتاج لتجفيف بدنه. وهو قليل الغذاء، سريع الهضم، ويصلحه سلقه ثم تطجينه بدهن لوز أو سمسم مقشور، ومن تعتريه الرياح والأبردة، فيدهن جوز وزيت وماء وملح. وشيّه ردئ مكرب للنفس، ويصلحه مص الفاكهة الحامضة القابضة عليه. وهو يضر من يعتريه القولنج المركب والريح، وعمله بخل ردئ وزبنه حار يابس بقوة جلاء يضمر الورم البلغمى إن طبخ بخل وطلى به. وأجوده لحم الخشف المترعرع، سيما الأبيض السمين. ومسكه حار يابس يقوى البصر والقلب والدماغ، وينفع من جميع علله الباردة، ويجفف الرطوبة، ويجلو بياض العين، وينفع الخفقان. وهو ترياق السموم، لكنه يورث صفرة، ويطيب العرق، ويسخن الأعضاء، ويقوى الحرارة الغريزية، وينفع الرياح الغليظة، ويشجع ويفرح، ويفتح السدد، ويصلح الفكر، ويذهب بحديث النفس، ويقوى الأعضاء الظاهرة وصفار، والباطنة شربا. ويعين على الباه، وينفع من بارد الصداع. وإن طلى به مع دهن الخيرى[1] رأس الذكر، أعان على سرعة الإنزال، وكثرة الجماع، ويبطل عمل السم. ولعظم شأنه، وعلو مكانه، حيته الشعراء بالتشبيه، ولم يشبهوه، بل جعلوه أصلا للتشبيه، شبهوا به لون المحبوب، والخال فى اللون.

---

(١) نبات له زهر، يستخرج دهنه ويدخل فى الأدوية، ابن البيطار ٢/ ١٠٨.

قال بعض من قال: (من السريع).

أشبهك المسك وأشبهته في لونه فاتمة قاعدة
لا شك أذلونكما واحد إنكما من ظبية واحدة

وقال الحلبي: (من الكامل).

كيف الضلال وصبح وجهك مشرق
وشذاك في الأكوان طيب معبق[1]

ولما وقف جدّنا قاضي القضاة الشرف يحيى المناوي[2] على قول أبي غالب يذم العذار: (من الطويل).

سأصنع في ذم العذار سداها
فمن شاء فليقض الدليل كما أقضى
ألا إنه كاللاّم واللامُ شأنها
إذا ألصقت للاسم صار إلى الخفض

قال رادًّا عليه: (من الطويل).

بلى إنها لام ابتداء محبّة
أو اللام للتوكيد ليست لذى الخفض
فلو أبصرت عيناك والمسك قد بدا
على خده الوردى كنت إذن تقضى

---

(١) ديوانه ٧٢ ط بيروت ١٨٩٢: ...بسك يعبق.

(٢) يحيى بن محمد شرف الدين المناوي الحدادي الشافعي، الإمام الكبير والصوفي الشهير، توفي سنة ٨٧١ وهو جد مؤلفنا الإمام عبد الرءوف المناوي.

وقال بعضهم: (من المنسرح).

مسك صدغيه قد بدا فوق خديه ذائبا
قلب الطرف كيف شئـ ـت تجدهم عقاربا

وقال شمس الدين الموصلي: (من السريع).

ومنكر قتل شهيد الهوى ووجهه ينبئ عن حاله
اللون لون الدم في خده والريح ريح المسك من خاله

وقال القيراطي: (من الكامل).

نسب الورى للمسك خط عذاره إذ لاح وهو بخده مكتوب
فبدا لنا منه بصفحة خده خط كما قال الورى منسوب

وقال آخر: (من الكامل).

ومهفهف يحمي ورود رضابه بصوارم سُلّت من الأجفان
كتب العذار بليقة مسكية في خده سطرا من الريحان

وقال ابن عربي[1]: (من الرجز).

لما تبدى عارضاه في نمط قيل بضياء اختلط
وقيل خط الحسن في خديه خط وقيل نمل فوق عاج انبسط
وقيل مسك فوق ورد قد نقط وقال قوم إنها اللام فقط

(١) الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي، المتوفى سنة ٦٣٨ هـ.

وقال العز الموصلي[1]:

حديث عذار الحب في خدّه جرى كمسك من الورد الجنى تسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه كأن لم يكن ذاك الحديث ولا

وقال في الخال صاحب شغل الخال[2]: (من الوافر).

بدا في خده المحمر خال تحيّر فيه ألباب الرجال
فقلت أليس هذا ظبي أنس؟ وذاك المسك بعض دم الغزال؟[3]

وأبدع المتنبي حيث قال[4]: (من الوافر).

رأيتك في الذين ترى ملوكا كأنك مستقيم في مُحال[5]
فإن تسد الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال[6]

وقال السروجي[7]: (من الكامل).

في الجانب الأيمن من خدها نقطة مسك اشتهى لثمها[8]
حسبته لما بدا خالها وجدته من حسنه عمّها

---

(١) علي بن الحسين بن محمد الموصلي الحنبلي، عز الدين، شاعر توفي سنة ٧٨٩ هـ، انظر ابن حجر، الدرر الكامنة ٣/ ٤٣، والزركلي، الأعلام، ٥/ ٩١.

(٢) لعله أحمد صاحب الخال، الأديب المتوفى سنة ١٠٦٥ هـ انظر المحبي خلاصة الأثر، ١/ ٣٢٤.

(٣) هذا يطابق قول المتنبي. فإن المسك بعض دم الغزال، عنوان المرقصات والمرطبات ٤٠.

(٤) البيتان في ديوانه ٢٥٨: لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٤.

(٥) الديوان: في الذي أرى...

(٦) الديوان وعنوان المرقصات والمطربات لعلي بن سعيد الغربي ص ٤٠.

(٧) عبد الله بن علي بن منجد تقي الدين السروجي، المتوفى سنة ٦٩٣هـ الفوات ٢/ ١٩٦ ـ ٢٠٦.

(٧) "شمّها" في رواية أخرى.

وقال ابن عبد الظاهر: (من الخفيف).

عنبرى يربنى العجز منه ... ولكم راق عاشق تفريكه
كلما قلت خاله المسك قال الـ ... ـمسك حاشاه إننى مملوكه

وقال بعضهم: (من السريع).

لا عجب أن مال من نشوة ... فريقه صهباء سلسال
وكيف لا تنسب أنفاسه ... للطيب والمسك له خال؟

وشبهه بالشباب بعض أولى الألباب، فقال: (من مجزوء المنسرح).

المسك أنفاس طيب ... مثل الشباب وزينه
حكاه ظرفا وحسنا ... وفيه شذاه ولونه
إن كان للطيب عين ... فالمسك إنسان عينه

وقال بعضهم: (من المجتث).

للمسك فضل على الطيـ ... ـبو إن أراد احتكاما
يكفيه أن راح فى الخلـ ... ـدِ للرحيق خداما

فائدة:

فى مختصر الأحياء لابن يونس[1]: من أخلص لله فى العمل وإن لم ينو، ظهرت آثار بركة الإخلاص عليه، وعلى عقبه يوم القيامة. قيل إن

---

(١) عماد الدين أبو حامد محمد بن يونس الأربلى المتوفى سنة ٦٠٨هـ وقد اختصر الوجيز لا الإحياء، انظر ترجمته فى ابن خلكان، الوفيات ٤/ ٢٥٣. قام حفيده تاج الدين بن رضى الدين المتوفى سنة ٦٧١ هـ باختصار كتاب الوجيز للغزالى أيضا وسماه: "التعجيز فى اختصار الوجيز"، المرجع نفسه ٤/ ٢٥٥، وانظر حاجى خليفة، كشف الظنون ١/ ٤١٧ـ٤١٨ و ٢/ ٢٠٠٢.

آدم لما أهبط، جاءت الوحوش تسلم عليه، فدعا لكل بما يليق، وجاءت طائفة من الظباء، فدعا لهن، ومسح عليهن، فظهر فيهن نوافج المسك، فقال لهن البواقي: من أين هذا؟ فأخبرنهن، فمضين إليه، فمسح عليهن، فلم يظهر فيهن مسك. قالوا: فعلنا ما فعلتم، فلم نر شيئا! فقلن: أنتن عملتن لتكن كإخوانكن، ونحن كان عملنا خالصا لله، فظهر في عقبهم.

الظربان[1]:

كالقطران، دويبة كالهرة، فوق جرو الكلب[2]، له صياخان بلا أذن، قصير اليدين، طويل الذنب، ليس لظهره فقار، ولا مفصل له، بل هو عظم واحد من رأسه لذنبه. منتن الريح، كثير الفسو وذلك سلاحه، يقصد حجر الضب، فيسده بذنبه، ويحوّل دبره إليه، فلا يفسو ثلاثا حتى يغشى على الضب، فيأكله، وفراخه. ويقيم في جحره، وإن فسا في ثوب لم يذهب ريحه، ولا يعمل فيه سيف حتى يصيب طرف أنفه لصلابة جلده. وإن رأى ثعبانا، وثب عليه، فينطوي عليه، ثم ينفخ، ويزفر زفرة ينقطع منها الثعبان، وله قوة على تسلق الحيطان في طلب الطير، فإذا سقط، نفخ بطنه، فلا يضره السقوط. ويتوسط الإبل، فيفسو، فتتفرق فلا ترد إلا تجهد، ولذلك سمي "مفرق النعم"[3][4]. وهو كثير بالمغرب.

---

(١) الجمع: ظربين و ظرّابى، والأنثى: ظرّبانة.
(٢) اللسان (ظرب): دويبة شبيه الكلب، أصم الأذنين.
(٣) الحيوان للجاحظ ٦/ ٣٧٢، الدميري، ٢/ ١٠٧، وابن حجة ٨٦ أ و ب.
(٤) الجاحظ ١/ ٢٤٨.

وحكمه: الحرمة

وفى المثل: أفسى من الظربان[1]. وفسا بينهم الظربان[2] أى تقاطعوا.

قال الشاعر[3]: (من الطويل).

ألا أبلغا قيسا وخندف أننى ضربتُ كثيرا مَضْرِبَ الظَّرِبان[4]

---

(١) نثر الدر ٦/ ٢٠٠، الميدانى ٢/ ٨٥، اللسان (طرب، فسا).

(٢) نثر الدر ٦/ ٢٠٢، الميدانى ٢/ ٧٤، اللسان (طرب).

(٣) الشاعر هو عبد الله بن حجاج الزبيدى التغلبى.

(٤) البيت فى اللسان (ظرب)

والمقصود كثير بن شهاب المذحجى، وكان معاوية ولاّه خرسان فاحتاز مالا، واستتر عند هانئ بن عروة المرادى، فأخذه من عنده وقتله، وقوله مضرب الظربان، أى ضربته فى وجهه ذلك أن للظربان خطًا فى وجهه.